"دور السياق في استكشاف الأبعاد الدلالية لفاعل الفعل 'قال' ومشتقاته في سورة الكهف"

(دراسة دلالية)

The Role of Context in Exploring the Semantic Dimensions of the Subject of the Verb Qāla and Its Derivatives in Surah al-Kahf (A Semantic Study)

Dr. Madiha Sadiq

Assistant professor, Incharge Center of Teaching Arabic to non-natives, Faculty of Arabic, IIUI, Pakistan.

Email: madiha.sadiq@iiu.edu.pk

Abstract:

The Noble Qur'an is the divine book of Allah, illuminating minds and guiding hearts with its inimitable structure, profound meanings, and eloquent style. Among the prominent linguistic features it employs in presenting events and conveying dialogue are verbal expressions particularly the verb qāla ("he said") and its derivatives which appear frequently in narrative contexts. Surah al-Kahf offers a rich example of such dialogic complexity, where the speaker may be explicitly stated or left implicit, raising a central semantic question: who is speaking? This study investigates the semantic role of context in identifying the subject of qāla in Surah al-Kahf, arguing that context is not a secondary element but a key interpretive tool for uncovering meaning and determining speaker identity. Using a semantic-analytical approach, the research examines how the presence or omission of the subject affects understanding of the verse. The study is structured into an introduction, two chapters, and a conclusion: the first chapter focuses on singular subjects-explicit and implicit-while the second addresses non-singular ones, with analytical insights provided throughout. The conclusion summarizes the main findings and emphasizes the significance of contextual analysis in Qur'anic interpretation.

***Keywords**: Verbal expressions, Explicit and implicit subjects, Contextual analysis, semantic-analytical approach, Qur'anic interpretation.*

المدخل:

الحمد لله حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على أشرف المخلوقات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبعد،

يُعدّ القرآن الكريم كتاب الله العزيز الذي أنار العقول ووجّه القلوب، بما يحمله من إعجازٍ في المبنى والمعنى، وبلاغةٍ في الألفاظ وتناسقٍ في الأساليب والدلالات. ومن بين الأساليب البارزة التي يعتمدها في عرض الوقائع ونقل الحوارات، تبرز الأفعال القولية، وعلى رأسها الفعل "قال" ومشتقاته، الذي يكثر وروده في

السياقات السردية والقصصية. وتُعدُّ سورة الكهف نموذجًا غنيًّا بالحوار وتعدّد الأصوات، حيث تتنوّع صيغ القول بين التصريح بالفاعل تارة، والإضمار تارة أخرى، مما يثير تساؤلاً دلاليًا مهمًّا :من القائل؟ ومن هنا، ينطلق هذا البحث المتواضع لفهم الأساليب القرآنية وتحليلها دلاليًا، من خلال معالجة دور السياق في استكشاف الأبعاد الدلالية لفاعل الفعل 'قال' ومشتقاته في سورة الكهف .ويرتكز على منهج تحليلي دلالي يستقرئ المواضع التي ورد فيها الفعل، ويحللها ضمن السياقين اللغوي والموضوعي، بهدف استكشاف الأثر الذي يتركه الإضمار أو التصريح في بناء المعنى، وإبراز دور السياق في ضبط هوية المتكلم بدقة، وفهم مسار الخطاب القرآني بعمق. وقد اقتضت خطة البحث أن تأتي في تمهيد وفصلين وخاتمة. يشمل التمهيد تعريفًا موجزًا بسورة الكهف من حيث موضوعاتها وفضائلها، إلى جانب دراسة مختصرة عن الفاعل في اللغة العربية، أنواعه وأحكامه. أما الفصل الأول، فبعنوان: "دور السياق في تحديد الفاعل المفرد لفعل 'قال' ومشتقاته في سورة الكهف"، ويضم مبحثين: الأول عن الفاعل المفرد الظاهر، والثاني عن الفاعل المفرد المضمر. بينما الفصل الثاني بعنوان: "دور السياق في تحديد الفاعل غير المفرد لفعل 'قال' ومشتقاته في سورة الكهف"، ويشمل مبحثين كذلك: أحدهما عن الفاعل غير المفرد الظاهر، والثاني عن الفاعل غير المفرد المضمر، مع دراسات تحليلية موجزة في نهاية كل فصل، ويليه نتائج البحث.

التمهيد:

أولا: تعريف سورة الكهف وفضائلها وموضوعاتها:

تُعد سورة الكهف من السور المكية العظيمة التي نزلت لتثبيت فؤاد النبي ﷺ وتعزيز إيمان المؤمنين في مرحلة شديدة من مراحل الدعوة الإسلامية، حيث تكالبت قريش على صدّ دعوة النبي، وبدأ التساؤل يتزايد بين الناس عن دعوته الجديدة. تقع سورة الكهف في منتصف القرآن الكريم، وهي السورة رقم (18) في ترتيب المصحف، وتتوزع آياتها بين الجزأين الخامس عشر والسادس عشر، ويبلغ عدد آياتها – بحسب القراءات – ما بين (105) و(111) آية.[1] وقد جاءت تسميتها من القصة الرئيسية الواردة فيها، وهي قصة الفتية الذين آمنوا بربهم وفرّوا بدينهم إلى الكهف.[2] والكهف في اللغة هو الغار الواسع في الجبل الذي يكون ملجأ ومأوى،[3] وهو في السياق القرآني رمز للحماية الربانية والعزلة من الفتنة، بما يعكس معنى اللجوء إلى الله تعالى. ومن خصائص سورة الكهف أنها بدأت بالحمد، فهي من السور الخمس التي استُهلّت بالحمد لله، مما يدل على علو مقامها وتعلّقها المباشر بربط الإنسان بخالقه. وردت في فضل هذه السورة أحاديث كثيرة صحيحة، منها قوله ﷺ: "﴿عَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ رَ ضِيَ اللهُ عَنْهُ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه و سلَّم أنَّه

---

(1) ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 م ، ج: 6، ص 424 .

(2) ينظر: أسماء سورة القرآن وفضائلها، منيرة محمدناصر اللوسري، المملكة العربية السعودية، 1426 هـ، ص: 255.

(3) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بنزكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين ،المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م، المادة: كهف، ج: 5، ص: 144.

قال:مَن قَرَأَ سُورَةَ الكَهفِ يَوْمَ الجُمُعةِ أَ ضَاءَ لَه من النورِ مَا بَينَ الجُمُعتينِ﴾"[4]، كما قال ﷺ: "(وَعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم: مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ)"[5].وهذه الفضائل تشير إلى العلاقة بين مضمون السورة ومقاومة الفتن، سواء فتنة الدجال أو غيرها من الفتن العقدية والمعرفية والدنيوية. أما سبب نزول السورة، فهو ما رواه المفسرون أن قريشًا أرسلت وفدًا إلى يهود المدينة ليسألوا أحبارهم عن طريقة لاختبار صدق النبي ﷺ، فطلبوا منهم سؤاله عن ثلاث قضايا: فتيةٍ ذهبوا في الزمن الغابر، ورجل طاف الأرض كلها، وحقيقة الروح. فوعدهم النبي ﷺ أن يجيبهم في الغد دون أن يقول "إن شاء الله"، فمكث الوحي مُنقطعًا عنه خمسة عشر يومًا حتى نزلت سورة الكهف كاملة مجيبة عن تلك الأسئلة، ومعلّمة له وللأمة بأهمية ردّ الأمر إلى الله والتعلّق بمشيئته تعالى.

تميّزت سورة الكهف ببنائها السرديّ المتميّز الذي يجمع بين العرض القصصي والمقصد التربوي، فهي تُقدّم أربع قصص رئيسية تشكّل كل واحدة منها نوعًا من الفتنة التي قد يواجهها الإنسان في حياته، وهي: فتنة الدين (قصة أصحاب الكهف)، وفتنة المال (قصة صاحب الجنتين)، وفتنة العلم (قصة موسى والخضر)، وفتنة الملك والسلطة (قصة ذي القرنين). وتمتاز هذه القصص بأنها ليست عرضًا تاريخيًا مجردًا، وإنما سرد حيّ يُقصد به ترسيخ الإيمان، وتقويم الرؤية تجاه الحياة والكون والآخرة. كما تتخلل السورة مشاهد حية ليوم القيامة، من بعث وحساب وجزاء، إلى جانب أمثلة دقيقة تضربها السورة لتصوّر فناء الدنيا وزوالها، كقوله تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ﴾[6]، وتحذّر من الاغترار بزينتها. كما تسير السورة على محور التذكير بمصير الإنسان وتوجيه نظره نحو الآخرة، وتحذر من الانبهار بمظاهر الغنى والقوة المجردة من الإيمان. في قصة أصحاب الجنتين، تُبرز السورة مفارقة واضحة بين المؤمن الفقير الواثق بربه، وصاحب المال المغرور بجنته، حتى إذا أتى أمر الله، تبين ضعف المال وذهبت الجنة، وبقي الإيمان. وفي قصة موسى والخضر تظهر فتن العلم حين يظن الإنسان أنه بلغ الغاية، فيعلّمه الله أن فوق كل ذي علم عليم، وأن الحكمة الربانية قد تخفى عن أعظم الناس مقامًا. وفي قصة ذي القرنين تظهر قيمة العدل في القيادة، وربط السلطة بالصلاح والتقوى. وإلى جانب ذلك كلّه، تتطرق السورة إلى قصة إبليس وتكبره، وتحذر من الإعراض عن القرآن، وتؤكد أن العلم الكامل لله وحده،[7] كما في ختامها ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ﴾[8]. لذلك يمكن القول إن سورة الكهف تشكل منظومة تربوية

---

[4]السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠ م، كتاب الجمعة، باب ما يؤمر به ليلة الجمعة ويومها من كثرة الصالة على الرسول .340/3 ،وقراءة سورة الكهف، رقم الحديث 599.

[5] صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري : كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب 44 ، فضل سورة الكهف وآية الكرسي، رقم الحديث:504 ، ج:4، ص:220 .

[6] سورة الكهف، الآية: 45.

[7]ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دوهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر (دمشق – سورية)، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م، ج: 15، ص: 198-199.

[8] سورة الكهف، الآية: 109.

متكاملة تهدف إلى وقاية القلب من فتن الدين والدنيا، وتهذيب العقل والروح، وترسيخ مفاهيم التوحيد، والاعتماد على الله، والتعامل المتوازن مع مظاهر الحياة وزينتها، في ضوء الهداية القرآنية الشاملة.

ثانيا: تعريف الفاعل وأنواعه وأحكامه:

الفاعل في اللغة هو من أحدث الفعل أو قام به[9]، أما في اصطلاح النحاة فهو الاسم المرفوع الذي يُسند إليه فعل مبني للمعلوم، ويدل على من قام بالفعل أو من وقع منه. [10] ويُعدّ الفاعل أحد أهم عناصر الجملة الفعلية، حيث يقوم بدور محوري في تركيب المعنى، ويخضع لجملة من القواعد النحوية التي تضبط علاقته بالفعل من حيث الرفع، والتذكير والتأنيث، والتقديم والتأخير، وغيرها.

ينقسم الفاعل من حيث ظهوره إلى نوعين رئيسين: فاعل ظاهر وفاعل مستتر. فالفاعل الظاهر هو ما يُذكر صريحًا في الجملة، مثل قولنا: "جاء محمد"، فـ"محمد" اسم ظاهر دلّ على من قام بالفعل. أما الفاعل المستتر، فهو الذي يُفهم من سياق الكلام دون أن يُذكر لفظًا، كما في قولنا: "ذهبتُ"؛ فـ"تُ" ضمير مستتر تقديره "أنا". وقد يكون الفاعل أيضًا ضميرًا متصلاً كما في "كتبتُ"، أو ضميرًا منفصلاً في سياقات خاصة. [11]

وتبرز أهمية الفاعل في توافقه مع الفعل من حيث التذكير والتأنيث، فإذا كان الفاعل مؤنثًا حقيقيًّا ظاهرًا، وجب تأنيث الفعل معه، نحو: "قالت فاطمة". أما إذا كان الفاعل جمع تكسير أو مؤنثًا مجازيًّا، جاز تأنيث الفعل أو تذكيره، مثل: "طلعت الشمس" و"طلع الشمس".[12] وكذلك، يراعى في الفاعل التثنية والجمع، إذ يُرفع الفاعل المثنى بالألف، والمجموع جمع مذكر سالم بالواو، ويُرفع جمع التكسير وجمع المؤنث السالم بالضمة. من القواعد المهمة أيضًا أن الفاعل يجب تأخيره عن فعله في الأصل، إلا أن التقديم قد يجُوز أو يُوجب في بعض السياقات بحسب المعنى أو البلاغة أو منع اللبس، كما في قولنا: " ضرب زيدٌ عمرًا"، حيث يُفهم المعنى من التركيب.[13] وفي حال بُني الفعل للمجهول، يحُذف الفاعل ويُناب عنه المفعول به مرفوعًا، كقولنا: "ضُرب زيدٌ"، حيث أُسند الفعل إلى المفعول بدلاً من الفاعل المحذوف.

---

(9) لسان العرب، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي ، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1414 هـ، المادة: ف ع ل.

(10) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام، المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، باب الفاعل، ج: 2، ص:288.

11 الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج، المحقق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت، ج: 2، ص: 228.

(12) ينظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله، شرح وتحقيق : عبد الرحمن علي سليمان ، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر، دار الفكر العربي، الطبعة : الأولى، 2008م، ج: 2، ص،: 593.

(13) ينظر: النحو الواضح في قواعد اللغة العربية، على الجارم ومصطفى أمين، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، ج: 1، ص: 38.

كما تجدر الإ شارة إلى أن الفاعل قد يأتي على صورة م صدر مؤول، وهو ما يُعبرَّ عنه بتراكيب مثل: "أن تفعل" أو "ما يفعل"، ويؤول إلى م صدر صريح، نحو: "ي سعدني أن تنجح"، أي: "نجاحك". وفي هذا الاستخدام، يحتفظ الفاعل بمكانته في الجملة من حيث الإعراب والمعنى.[14]

ومن خلال تتبع هذه القواعد، يظهر بو ضوح مدى م ركزية الفاعل في بناء المعنى النحوي والدلالي في الجملة العربية، خا صة في ال سياقات القرآنية التي تعتمد أحياناً على الإ ضمار والتقديم والتأخير لأغراض بلاغية ودلالية دقيقة. وهذا ما يجعل درا سة الفاعل، تحديدًا في أفعال القول مثل "قال"، ضرورياً لفهم الخطاب وتحديد هوية المتكلم بدقة، كما سيُبينَّ في الفصول التالية من هذا البحث.

الف صل الأول: دور ال سياق في ا ستك شاف الأبعاد الدلالية للفاعل المفرد لفعل "قال" ومشتقاته في سورة الكهف

خصصت هذا الفصل لدارسة الفاعل المفرد لفعل قال ومشتقاته في سورة الكهف. يهدف هذا الفصل إلى دراسة أثر السياق في تحديد الفاعل المفرد لفعل "قال" ومشتقاته في سورة الكهف. الفاعل في الجملة الفعلية هو عنصر مهم، حيث يكون مرفوعًا دائمًا سواء كان اسمًا ظاهرًا أو ضميرًا، ويمكن أن يكون مفردًا، مثنى أو جمعًا، ولكن الفعل يظل ثابتًا بحسب الفاعل.

المبحث الأوّل: الفاعل المفرد الاسم الظاهر لفعل "قال" ومشتقاته في سورة الكهف

يتناول هذا المبحث درا سة الفاعل المفرد الا سم الظاهر المرتبط بالفعل "قال" وم شتقاته، كما ورد في سورة الكهف. وقد تم ر صد أربع آيات ورد فيها هذا النمط، وتم تحليلها نحوياً و سياقيًا، حيث ظهر أن الفاعل في كل منها اسم ظاهر مفرد مرفوع، لكن تحديد مدلوله تأثر بالسياق القرآني والتأويلات التفسيرية.

في الآية الأولى: ﴿**قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ**﴾[15]، ورد الفاعل "قائل" اسمًا ظاهرًا مفردًا مرفوعًا، ي شير إلى أحد أ صحاب الكهف الذين ت ساءلوا عند ا ستيقاظهم.[16] وقد اختلف المف سرون في تحديده؛ فقيل إنه كبيرهم مك سلمينا، وقيل إنه يمليخا صاحب النفقة.[17] هذا الاختلاف نابع من طبيعة القـ صة ورمزية الأشخاص فيها، وقد دعم السياق الفرضيتين من حيث غموض هوية المتكلم ضمن المجموعة، لا سيما بعد طول فترة الغياب.

---

(14)ينظر: النحو العصري دليل مبسط لقواعد اللغة العربية، ج: 2، ص: 245 .

(15): سورة الكهف، الآية: 19.

(16)ينظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب: لعبد الله بن عباس، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ، دار الكتب العلمية – لبنان ج : 1، ص : 245، وفتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان القِنَّوجي، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت،1992 م، ج : 8 ، ص : 26.

(17)ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، المحقق: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الرابعة، 1997 م ، ج : 5 ، ص : 159.

في الآية الثانية: ﴿**قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ**﴾[18]، الفاعل الظاهر هو " صاحبه"، وقد جاء معرفًا بالإضافة. وتدل الآية على المؤمن الذي يحاور الكافر في قصة صاحب الجنتين. وتنوعت أقوال المفسرين في تحديد شخصية هذا المؤمن، فقيل هو يهوذا، وقيل تمليخا، أو أبو سلمة،[19]وكلها اجتهادات بنيت على الروايات، إلا أن السياق يظهره كشخص مذكور بدلالة الحوار والمقام الأخلاقي التوجيهي، مما يعزز تحديده كمؤمن يدعو صاحبه للكفر بالله خالق الإنسان.

في الآية الثالثة: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ**﴾[20]، جاء الفاعل "موسى" اسمًا ظاهرًا مقصورًا مرفوعًا بالضمة المقدرة، وقد ظهر الخلاف بين المفسرين في تحديد أي "موسى" هو المقصود؛ فذهب بعضهم إلى أنه موسى بن منشا بن يوسف، وقيل موسى بن ميشا، بينما ذهب جمهور المفسرين إلى أنه موسى بن عمران، نبي الله، وهو الراجح، خاصة أن السياق يدل على رحلته لطلب العلم من الخضر، وهو موقف نبوي معروف.[21] وقد ثبت ذلك من حديث ابن عباس الذي ردّ على دعوى نوف البكالي، مؤكدًا أن القصة تعود لموسى النبي، وليس لشخصية أخرى مغمورة في بني إسرائيل.[22]

في الآية الرابعة: ﴿**قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ**﴾[23]، يظهر "موسى" أيضًا فاعلاً ظاهرًا مرفوعًا، ويؤكد السياق استمرارية الحديث بين موسى عليه السلام والعبد الصالح، الخضر. وهنا يبدأ موسى بالطلب لتتلمذ على يد الخضر، ما يدل على تواضعه واعترافه بحدود علمه. وتدل الآية على أدب طالب العلم، واستعداده للتعلم من من أوتي علمًا خاصًا لا يملكه، وإن كان موسى نبيًّا، فهو يطلب من الخضر علمًا غيبيًا يخص التصرف الرباني في الخلق.[24]

من خلال تتبع هذه المواضع الأربعة، يتبين أن الفاعل المفرد الاسم الظاهر لفعل "قال" في سورة الكهف قد ورد بصيغ مختلفة (قائل، صاحبه، موسى) لكن السياق هو العامل الحاسم في توضيح هويته. وعلى الرغم من ظهور الاسم بشكل صريح، إلا أن تفسير مدلوله قد خضع لاجتهاد المفسرين، مما يدل على أهمية السياق القرآني في تحديد المرجع الدقيق للفاعل حتى وإن كان ظاهرًا.

---

(18) سورة الكهف، الآية: 37.

(19)ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 2002 م، ج: 6، ص: 169.

(20): سورة الكهف، الآية: 60.

(21)ينظر: النكت والعيون(تفسير الماوردي)، محمد بن حبيب البصري البغدادي، المحقق:عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ج : 3، ص : 321.ب تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم – بيروت، الطبعة: الأولى، 1996م ، ج : 2 ، ص : 254.

(22) ينظر: تيسير التفسير، إبراهيم القطان،ج : 2 ، ص : 381 .

(23): سورة الكهف، الآية: 66.

(24)ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 2000 م، ج: 1، ص: 481. ب: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1994 م، ج: 3، ص: 159.

المبحث الثاني: الفاعل المفرد المضمر لفعل "قال" ومشتقاته في سورة الكهف:

في سورة الكهف، ورد فعل "قال" ومشتقاته في عدة مواضع كان فيها الفاعل مفرداً مضمراً يُفهم من السياق. اعتمدت هذه المواضع على الدلالة السياقية لتحديد المتكلم، مما يعكس بلاغة التعبير القرآني ودقة الربط بين الأفعال والمتكلمين.

الفاعل المفرد باسم الضمير البارز:

ورد في سورة الكهف مثال واحد على الفاعل المفرد لـ "قال" بصيغة الضمير البارز، وهو في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُّ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهَّ**﴾[25]، حيث الشاهد في كلمة "قُلتَ"، وهي فعل ماضٍ والتاء ضمير بارز متصل في محل رفع فاعل مفرد مذكر مخاطب. الضمير يشير إلى الرجل المؤمن في قصة صاحب الجنتين، وهو من نصح صاحبه الكافر حين رأى اغتراره بنعم الله، فقال له: كان الأجدر بك أن تقول "ما شاء الله لا قوة إلا بالله" تواضعًا لله وشكرًا له.[26] السياق هنا يكشف عن المفارقة بين موقفين: الغرور بالنعمة، والإيمان بالتقدير الإلهي، وقد ساعد هذا السياق في تحديد هوية الفاعل وتفسير الغرض من قوله.

الفاعل المفرد باسم الضمير المستتر:

كثرت شواهد الفاعل المفرد باسم الضمير المستتر لفعل "قال" ومشتقاته في سورة الكهف، حيث ورد ما يقارب ثلاثين موضعًا، من أبرزها ما يلي:

قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا**﴾[27]، والشاهد في "تقولنّ"، وهو فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد، وفاعله ضمير مستتر تقديره "أنت". والسياق يوضح أن الخطاب موجه إلى النبي محمد ﷺ، حيث نهاه الله عن الجزم بالفعل في المستقبل دون أن يستثني المشيئة الإلهية، وذلك بعد أن تأخر الوحي عنه بسبب عدم قوله "إن شاء الله" عند وعده بالإجابة عن قصة أصحاب الكهف.[28] السياق هنا لا يكتفي بتحديد الفاعل بل يكشف عن الحكمة التربوية في توجيه النبي والأمة إلى التعلق بإرادة الله في كل أمر مستقبلي، مما يضفي على الفعل وفاعله بُعدًا دلاليًا أعمق من مجرد تحديد النسبة النحوية.

قوله تعالى: ﴿**وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا**﴾[29]، حيث الشاهد في "فقال"، وهو فعل ماضٍ معروف مبني على الفتح، وفاعله ضمير مستتر تقديره "هو"، يعود على

---

(25): سورة الكهف، الآية: 39.

(26): ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محمد بن الفراء البغوي، ج: 3، ص: 191.

(27): سورة الكهف، الآية: 23.

(28) ينظر: تفسير ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1999 م، ج5، ص105.

(29) سورة الكهف، الآية: 34.

صاحب الجنتين. الفاعل مفرد مذكر غائب، وقد وقع خلاف بين المفسرين في تحديد شخصيته: فذكر النسفي أن اسمه قطروس، وذكر في تفسير "المخازن" أنه الأسود بن عبد الأسود من بني مخزوم،وكلاهما من بني إسرائيل. [30] وتتناول هذه الآية مشهدًا من قصة الرجلين، أحدهما مؤمن والآخر كافر اغتر بماله وثرائه فقال لصاحبه ما يدل على الكبرياء والغرور، وهنا لعب السياق دورًا أساسيًّا في تعيين الفاعل من خلال ترتيب الأحداث ووصف الحوار، مما يبرز أهمية السياق في تحديد الفاعل غير المصرّح به لفظًا.

قوله تعالى:﴿**فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا**﴾[31].موضع الشاهد في الآية هو الفعل "قال"، وهو فعل ماضٍ معروف مبني على الفتح، والفاعل ضمير مستتر تقديره "هو"، يعود على موسى عليه السلام، باعتبار أن الضمير لم يُذكر صراحة، وإنما دل عليه السياق السابق واللاحق للآية.السياق يُوضح أن موسى عليه السلام خرج بصحبة فتاه يوشع بن نون للبحث عن العبد الصالح (الخضر)، كما جاء في الحديث النبوي الشريف الذي رواه أُبيّ بن كعب عن النبي ﷺ. وقد أمر الله تعالى موسى أن يحمل معه حوتاً، وجعل علامة لقائه بالخضر أن يفقد ذلك الحوت، فلما بلغا مجمع البحرين نسيا الحوت، ومضيا حتى جاوزا الموضع، وهنا قال موسى لفتاه: ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا﴾. القول في هذه الآية صادر عن موسى عليه السلام، وقد دلّ السياق على ذلك، لأن الفتى (يوشع بن نون) هو المخاطَب، مما يدل على أن القائل هو موسى. ومن خلال التحليل النحوي، فإن "قال" فعل ماض، وفاعله ضمير مستتر وجوباً تقديره "هو" عائد على موسى، وهذا ما أكده المفسرون أيضًا كابن كثير والقرطبي. [32]

هذه الآية تأتي ضمن قصة موسى والخضر عليهما السلام، والتي تمتد من الآية (62) إلى الآية (78) في سورة الكهف، وتشتمل على عدة حوارات وردت أفعال القول فيها بصيغ متعددة، يظهر فيها الفاعل أحياناً ويُستتر أحياناً أخرى، بحسب السياق. وتعد هذه القصة نموذجًا حيًّا لأهمية السياق في تحديد هوية الفاعل، خاصة حين لا يُصرّح به لفظًا، مما يجعل فهم السياق عنصرًا حاسمًا في تفسير النص.

قوله تعالى:﴿**قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**﴾[33]، ويظهر في هذه الآية شاهدان دلاليان: الأول في "قال"، والثاني في "أقل."ف ."قال" فعل ماضٍ مبني على الفتح، وفاعله ضمير مستتر جوازًا تقديره "هو"، يعود على الخضر عليه السلام، ويتضح ذلك من السياق الذي يصف رد فعل الخضر على اعتراض موسى

---

(30) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن عمر الشيحي أبو الحسن، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - 1415 هـ، ج: 3، ص: 164.

(31): سورة الكهف، الآية: 62.

(32) ينظر: تفسير القرآن العظيم المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري المحقق: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م ، ج : 5، ص : 174

(33) سورة الكهف، الآية: 67.

عليه السلام بعد خرق السفينة. أما "أقل"، فهو فعل مضارع مجزوم بـ "لم"، والفاعل فيه ضمير مستتر وجوباً تقديره "أنا"، أي أن القائل أيضًا هو الخضر عليه السلام[34].

وقد دل السياق السابق على هوية الفاعل، إذ تدور الآيات في إطار قصة لقاء موسى بالخضر وطلبه مرافقته بشرط الصبر، إلا أن موسى لم يصبر حين خرق الخضر السفينة، فكان رد الخضر تأنيبيًّا على لسانه: ﴿أَلَمْ أَقُلْ﴾، مؤكدًا أن ما فعله لم يكن عبثًا بل لحكمة خفية. وهنا يظهر دور السياق جليًا في تحديد الفاعل في كلا الموضعين، مع أن الضمير مستتر في كلٍّ منهما.

قوله تعالى:﴿**قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ...**﴾[35]، فـ "قال" فعل ماضٍ مبني على الفتح، وفاعله ضمير مستتر جوازًا تقديره "هو"، يعود على "ذو القرنين"، كما يدل عليه سياق القصة الواردة في السورة. و"ذو القرنين" هو الملك العادل الذي منّ الله عليه بالتمكين في الأرض، وقد أجاب بهذه العبارة حين سأله قومه عن حال من يظلم، فقال: "أما من ظلم" أي كفر، فـ سيعذبه في الدنيا، ثم يرده الله فيعذبه عذاباً نكرًا في الآخرة. وقد اختلف في اسمه، فقيل هو الإسكندر، وقيل مرزبان بن مردبة، وأُطلق عليه ذو القرنين لأنه بلغ مشرق الأرض ومغربها.[36] وهنا يظهر أن الفاعل المفهوم من السياق هو "ذو القرنين"، والضمير المستتر دل عليه بوضوح مساق الحديث في الآيات السابقة واللاحقة.

قوله تعالى: ﴿**وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا**﴾[37] يظهر الفعل "يقول" بصيغة المضارع، وفاعله ضمير مستتر تقديره "هو"، ويُحدده السياق بوضوح على أنه صاحب الجنتين. وقد اختلف المفسرون في اسمه، فذكر القرطبي أنه الأسود بن عبد الأسد،[38] بينما قال الثعلبي والقشيري إنه قرطوش أو قطروس،وكلها روايات غير جازمة.[39] ويظهر أثر السياق جليًّا في تحديد هذا الفاعل، حيث يعود الضمير إلى نفس الشخص الذي ورد ذكره في الآيات السابقة بأنه كان يملك جنتين وتكبّر على صاحبه، ثم ندم عند زوال النعمة، فقلب كفيه ندمًا وتحسرًا. فالسياق هنا لا يكتفي بتحديد هوية الفاعل فحسب، بل يضفي أيضًا بعدًا دلاليًا يكشف تحوّله النفسي من الكبر إلى الحسرة، ومن الغرور إلى الندم، وهو ما لا يظهر من الفعل "يقول" وحده لولا ما سبقه من سياق قصصي بيّن.

---

(34) ينظر: فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – 1414 هـ، ج: 3، ص: 354.

(35): سورة الكهف، الآية: 87.

(36) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، شمس الدين القرطبي، ج: 11، ص: 45.

(37) سورة الكهف، الآية: 42.

(38) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، شمس الدين القرطبي، ج: 10، ص: 405.

(39) ينظر: لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، عبد الكريم القشيري، ج: 2، ص: 397.

في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾[40] يأتي الفعل "قُلْ" بصيغة الأمر، وفاعله ضمير مستتر وجوباً تقديره "أنت"، يعود على المخاطب المفرد، وهو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم. ويدل السياق بوضوح على أن الخطاب موجه للنبي، حيث تأمره الآية بأن يوجه القول لسائليه. وقد نزلت هذه الآية عقب سؤال المشركين عن قصة أصحاب الكهف دون أن يقول "إن شاء الله"، فجاء التوجيه الإلهي بأمره أن يستثني بالمشيئة، ثم أن يكل العلم إلى ربه ويطلب منه الهداية إلى ما هو أقرب إلى الرشد من تفاصيل تلك القصة.[41] ويبرز دور السياق هنا في تحديد هوية المخاطب (النبي) وبيان طبيعة التكليف المرتبط بظرف نزول الآية، وهو ما لا يمكن إدراكه من بنية الفعل "قل" وحدها. فالسياق يُظهر أن الفاعل ليس أي مخاطب، بل هو رسول الله، كما يكشف عن أبعاد معنوية مرتبطة بالحكمة في ترك الإجابة حينًا، وتوجيه القلب إلى الهداية الإلهية دائمًا.

يتبيّن من خلال تحليل الشواهد الواردة في سورة الكهف أن الفعل "قال" قد ورد بأزمنته الثلاثة: الماضي، والمضارع، والأمر، واقترن بفاعل مفرد، إمّا ظاهرًا بالاسم، أو مضمرًا بضمير بارز أو مستتر. وتنوعت الضمائر بحسب السياق بين ضمير الغائب، والحاضر، والمتكلم. وقد تم تحديد الفاعل – سواء كان صريحًا أو مضمرًا – استنادًا إلى السياق القرآني الذي كشف عن هوية القائل بدقة، إذ أُسنِد القول في كثير من المواضع إلى شخصيات معروفة في السورة، كالنبي موسى، والخضر، وذو القرنين، ويوشع بن نون، والنبي محمد ﷺ، بل وإلى الذات الإلهية عز وجل. كما ظهر من مشتقات الفعل "قال" اسم الفاعل "قائل" في بعض المواضع. وقد بُيِّن المعنى العام للآيات بأسلوب مستقل مستند إلى أقوال المفسرين، لتوضيح السياق الذي يحدد الفاعل تحديدًا سليمًا.

والجدير بالذكر أن كثيرًا من هذه المواضع لم يُذكر فيها الفاعل صراحةً، بل اكتُفي بضمير مستتر، وذلك اعتمادًا على السياق العام للقصة أو الخطاب الذي يكشف عن هوية الفاعل بوضوح، وهي ظاهرة بلاغية تُعد من ميزات التعبير القرآني، حيث يُستغنى عن التصريح بالفاعل حين يكون معلومًا لدى السامع من خلال تسلسل الكلام. وقد أُشير كذلك إلى مواضع الاختلاف بين المفسرين في تعيين الفاعل أو اسمه، ممّا يبرز أهمية السياق القرآني في ترجيح أحد الأقوال وتحديد القائل على وجه الدقة.

الفصل الثاني: دور السياق في استكشاف الأبعاد الدلالية للفاعل غير المفرد لفعل "قال" ومشتقاته في سورة الكهف

في هذا الفصل، سيتم تناول الفاعل غير المفرد للفعل "قال" ومشتقاته في سورة الكهف، والمقصود بالفاعل غير المفرد ما كان مثنّى أو جمعًا، سواء للمذكر أو للمؤنث. وقد ورد هذا النوع من الفاعل في السورة

---

(40) سورة الكهف، الآية: 24.

(41) ينظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة: 1420 هـ، ج:7،ص:162.

بصورتين: الأولى على هيئة اسم ظاهر أو صريح، والثانية في صورة ضمير، سواء أكان بارزًا أم مستترًا. وبناءً على هذا التقسيم، قُسّم الفصل إلى مبحثين رئيسين: الأول يُعنى بالفاعل غير المفرد الاسم الظاهر، والثاني يتناول الفاعل غير المفرد المضمر. و سيتم استخراج الشواهد المتعلقة بهذين النوعين من سورة الكهف، مع تحليلها في ضوء أقوال المفسرين والمعربين، لبيان دور السياق في تحديد الفاعل وفهم أبعاده الدلالية في كل موضع.

المبحث الأوّل: الفاعل غير المفرد الاسم الظاهر لفعل "قال" ومشتقاته في سورة الكهف

لقد ورد شاهد واحد فقط للفاعل غير المفرد الظاهر في سورة الكهف، وذلك في قوله تعالى:﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾[42] ومحل الشاهد في الآية هو "قال الذين"، حيث ورد الفاعل بصيغة جمع المذكر السالم في اسمٍ ظاهرٍ موصولٍ، وهو "الذين"، وهو غير مفرد كما هو موضوع الفصل. من الناحية النحوية، "قال" فعل ماضٍ مبني على الفتح، وفاعله "الذين" اسم موصول مبني في محل رفع فاعل. وصيغة الجمع تفيد أن القائلين جماعة، وهو ما يدل على أن الفاعل ليس مفردًا، بل جمعًا مذكرًا ظاهرًا.

أما من حيث تحديد هوية الفاعل، فقد اختلف المفسرون في المراد بـ "الذين غلبوا على أمرهم" على ثلاثة أقوال رئيسية:

الأول، أن القائلين هم الملك تندوسيس وأصحابه من المؤمنين، الذين غلبوا على أمر أهل الكهف وأمروا ببناء المسجد تعظيمًا لشأنهم[43].

والثاني، أن القائلين هم أولياء أصحاب الكهف من أهل الإيمان، حيث أشار بعض المفسرين إلى أن البناء كان بناءً إيمانيًّا يتضمن رمزية واضحة للاعتقاد بالبعث.[44]

أما القول الثالث، فقد ورد في تفسير البغوي وغيره، وهو أن القائلين هم الملك بيدروس وأتباعه المؤمنون، الذين بنوا المسجد على باب الكهف وأقاموا فيه شعائر دينية، بل جعلوا ذلك موضع عيد سنوي يقام فيه الاحتفال تكريمًا للفتية[45].

ومن خلال النظر في هذه الأقوال، يتضح أن السياق القرآني استخدم اسمًا موصولاً عامًا للدلالة على الفاعل، دون التصريح باسم شخص بعينه، وهو من الأساليب البلاغية في القرآن الكريم التي تتيح عمقًا دلاليًا، وتفتح المجال للتأمل في صفات الفاعلين وأثرهم، بدل الاقتصار على أسمائهم. وفي ضوء ما تقدم، فإن الرأي الراجح – والله أعلم – هو أن المراد بالفاعل هم الملك وأصحابه من المؤمنين الذين غلبوا على الأمر، وأقروا عقيدة البعث، فبنوا مسجدًا على باب الكهف، كما رجحه عدد من المفسرين.

---

(42) سورة الكهف، الآية: 21.

(43)ينظر: زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفوج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ج: 3، ص: 74

(44)ينظر: بحر العلوم (تفسير السمرقندي) ، أبو الليث السمرقندي، المشهور ب: إمام الهدى. ج: 2، ص: 342

(45)ينظر: تفسير البغوي- الإحياء التراث، ج: 3، ص: 185

وتُبرز هذه الآية كذلك أهمية السياق في تحديد هوية الفاعل، فقد لم يُذكر الاسم صراحة، ولكن تسلسل القصة ومعانيها يُفضي إلى فهم الفاعل المقصود بوضوح، وهي من الخصائص البلاغية التي يختص بها التعبير القرآني، حيث يُستغنى عن التصريح حين يكون المعنى ظاهرًا من السياق.

المبحث الثاني: الفاعل غير المفرد الاسم المضمر لفعل "قال" ومشتقاته في سورة الكهف

خصص هذا المبحث للفاعل غير المفرد حين يرد بصيغة ضمير مضمر، وذلك في إطار دراسة فعل قال ومشتقاته في سورة الكهف. والمقصود بالفاعل غير المفرد هنا هو ما دلّ على المثنى أو الجمع للمذكر أو المؤنث، حين يكون الفاعل ضميرًا لا اسمًا ظاهرًا.

ومعلوم في علم النحو أن الضمير هو اسم مبني يدل على متكلم أو مخاطب أو غائب، وقد يكون بارزًا ظاهرًا في اللفظ، أو مستترًا لا يُنطق به. وبعد استقراء آيات سورة الكهف، لم أعثر على شاهد لفاعل مضمر مستتر غير مفرد، لذا اقتصر هذا المبحث على الفاعل غير المفرد المضمر البارز، سواء ورد في الماضي أو المضارع. ويظهر بجلاء في تحليل الشواهد الآتية أن السياق القرآني لعب دورًا جوهريًا في تحديد مرجع الضمير، وهو ما يجسد خصوصية التعبير القرآني.

قال تعالى: ﴿**وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا**﴾[46] الشاهد في هذه الآية هو قوله :قالوا، وهو فعل ماضٍ مبني على الضم، وفاعله واو الجماعة، ضمير بارز متصل يدل على جمع مذكر غائب، فهو فاعل غير مفرد. وقد ورد في تحديد الفاعل "قالوا" ثلاثة أوجه في كتب التفسير:

- الوجه الأول :أنهم المشركون، كما ذهب إليه ابن عاشور والقاسمي، لأنهم قالوا إن الملائكة بنات الله، ولأن الآية مكية فهي تتوجه أولاً بالرد على مشركي العرب. [47]
- الوجه الثاني :أنهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وهو ما ذكره السيوطي في "الدر المنثور".[48]
- الوجه الثالث (وهو الأرجح): أن الفاعل يشمل ثلاث طوائف:
  1. مشركو العرب القائلون بأن الملائكة بنات الله،
  2. النصارى القائلون بأن المسيح ابن الله،
  3. اليهود القائلون بأن عزيرًا ابن الله. [49]

وهذا الوجه هو الأليق بسياق الآية، حيث ذُكر الإنذار أولاً عامًا، ثم خُصّص بفئة وصفت بهذا القول الباطل، وهو نسبة الولد إلى الله تعالى، وهو من أقبح أنواع الكفر.

---

(46) سورة الكهف، الآية : 4، 5

(47)ينظر: تفسير التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور، ج:7، ص:5

(48)ينظر: تفسير الدار المنثور في تفسير المأثور ، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر – بيروت،ج: 5، ص:359.

(49)ينظر: اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي ابن عادل الدمشقي، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمدعبدالموجود، الشيخ علي محمد معوض، ج: 12،ص:421.

قال تعالى:﴿**مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا**﴾ [50] الشاهد هو قوله يقولون، وهو فعل مضارع مرفوع بثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة، وفاعله واو الجماعة، ضمير بارز متصل لجمع مذكر غائب، فهو فاعل غير مفرد.

يرجع هذا الضمير إلى نفس الجماعة التي وردت في الشاهد السابق، أي الذين قالوا اتخذ الله ولدًا، وهم كفار العرب، والنصارى، واليهود.[51] وتكمل هذه الآية الإنكار عليهم وتهويل قولهم الباطل. فقوله إن يقولون إلا كذباً يفيد الحصر، أي أنهم لا يقولون في هذا السياق إلا الكذب، فهم لا يملكون علمًا ولا حجة، وإنما يتبعون تقليد الآباء والضلالات.

قال تعالى:﴿**إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا**﴾ [52] الشاهد في هذه الآية هو قالوا، وهو فعل ماضٍ مبني على الضم، وفاعله واو الجماعة، ضمير بارز متصل لجمع مذكر غائب، وهو غير مفرد. الضمير في قالوا يعود على الفتية المذكورين صراحة في صدر الآية، وهم أصحاب الكهف. وقد اختلفت الروايات في أسمائهم، حيث ذكر الزمخشري وابن عطية والماوردي وغيرهم عدة أسماء.[53] والغرض من ذكرهم ليس حصر أسمائهم، وإنما بيان أنهم جماعة من الشبان المؤمنين الذين فروا بدينهم من بطش ملكهم الوثني، واعتصموا بالكهف. فجاء قولهم هذا – "ربنا آتنا من لدنك رحمة..." – دعاءً صادقًا يدل على إخلاصهم وتمسكهم بالتوحيد، وهو مما يُثبت أن الفاعل هنا هو جماعة المؤمنين الذين التجؤوا إلى الكهف حماية لدينهم.

قوله تعالى ﴿**وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ**﴾[54] في هذه الآية الكريمة ورد شاهدان على الفاعل غير المفرد المضمر لفعل قال، وكلاهما بصيغة "قالوا"، أي فعل ماضٍ وفاعله ضمير واو الجماعة الدالة على الجمع الغائب، وهو ضمير بارز متصل، وبالتالي فهو فاعل غير مفرد.

الشاهد الأول: ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾

تحليل الصيغة النحوية: "قالوا": فعل ماضٍ مبني على الضم، وفاعله واو الجماعة، ضمير بارز متصل يدل على جمع مذكر غائب، والفاعل هنا غير مفرد. المرجع السياقي للضمير هو أصحاب الكهف، الذين بُعثوا من رقدتهم وسُئلوا عن مدة لبثهم.

وقد اختلف المفسرون والنحويون في تحديد مرجع هذا الضمير، نتيجة لاختلاف دلالة حرف العطف "أو" في قولهم: "يومًا أو بعض يوم"، وقد وردت أربعة احتمالات رئيسية، لكل منها أثر في فهم الفاعل:

---

(50) سورة الكهف، الآية: 5.

(51)ينظر: تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ج : 5 ، ص : 136.

(52) سورة الكهف، الآية:10.

(53)ينظر: تفسير الماوردي (النكت والعيون)، أبو الحسن علي حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، ج : 3 ، ص : 297.

(54): سورة الكهف، الآية: 19.

1. "أو" للشك:

2. وهذا يعني أن القائلين جماعة واحدة، وهم الستة الباقون من أصحاب الكهف الذين سُئلوا (غير السائل نفسه). وقد غلب عليهم الظن أنهم لبثوا يومًا، ثم تراءى لهم أنه ربما كان بعض يوم، فوقع الشك.[55]

3. "أو" للإضراب:

4. وهو ما يعني أن القول الثاني (بعض يوم) جاء على سبيل التصحيح أو الرجوع عن القول الأول، كما لو قالوا: "بل بعض يوم". وهذا الاحتمال يدل على أن الفاعل أيضًا هم الستة الذين أجابوا، بعد أن بدا لهم ضوء الشمس خارج الكهف.

5. أو" للتفصيل:

6. كما ذهب إليه أبو حيان، أي أن بعض القوم قال: "يومًا"، والبعض الآخر قال: "بعض يوم"، فصار الكلام من مجموعتين ضمن الجماعة. وهنا يحتمل أن يكون "قالوا" أسند إلى الجميع باعتبار أن كلا الطرفين شارك في الجواب.[56]

7. " أو" للتقسيم:

8. أي أن القول مقسم بين المتكلمين: بعضهم قال "يومًا"، وبعضهم قال "بعض يوم"، وأُسند الفعل إلى الجماعة لأن الجميع اشترك في الإجابة. وهذا الاحتمال يعززه ما جاء بعده: ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ﴾، أي أنه بعد التفاوت في الجواب لجأوا إلى تفويض العلم لله تعالى[57].

الشاهد الثاني: ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾

تحليل الصيغة النحوية:"قالوا": فعل ماضٍ وفاعله واو الجماعة، ضمير بارز متصل لجمع مذكر غائب، والفاعل غير مفرد.

وفي هذا الموضع أيضًا اختلف المفسرون في تحديد الفاعل بدقة، حيث ورد في ذلك قولان[58]:

1. القول الأول:

أن القائل هنا هو رئيسهم، وقد قيل: هو "يمليخا"، أو "مكسلمينا" – وهو أكبرهم – وقد أُسند الفعل إلى الجمع تعظيمًا له، أو لأنه تكلّم نيابة عنهم، وأُسند إليه قولهم للتشريف والإكرام، كما هو مألوف في لسان العرب.

2. القول الثاني:

---

(55)ينظر: التحرير والتنوير، ج: 15، ص: 284.

(56)ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج: 7، ص: 154.

(57)ينظر: التحرير والتنوير، ج: 15، ص: 284.

(58)المرجع السابق ، ج: 16، ص: 286.

3. أن القائل هو بعضهم أو أحدهم، وأُسند القول إلى الجماعة؛ لأنهم ارتضوا كلامه ووافقوه، فصار بمنزلة قولهم جميعًا، وهو من أساليب البلاغة في الإسناد الجمعي، ويكثر في القرآن الكريم.

يتضح من هذين الشاهدين أن الفاعل غير المفرد المضمر البارز قد جاء بصيغة واو الجماعة، مع تنوع مرجع الضمير بحسب السياق والدلالة. وقد اتضح أيضًا أن حرف "أو "في الآية أدى إلى تعدد القراءات في تحديد الفاعل، فمرة يُفهم أنه جماعة واحدة، ومرة يُقسَّم بينهم. كذلك أبرزت الآية أسلوباً بلاغيًا دقيقًا في إسناد الفعل إلى الجماعة، رغم أن القائل قد يكون فردًا، وذلك لأغراض دلالية متعددة كالتعظيم، أو لأن القول صار مُعبرًا عن رأي المجموعة بأكملها.

وصفوة القول :إنّ هذا الفصل قد اشتمل على ستة عشر شاهداً للفاعل غير المفرد الوارد في سورة الكهف، منها شاهد واحد فقط لفاعل غير مفرد اسم ظاهر، في حين أن الخمسة عشر شاهداً الباقية وردت كلها لفاعل غير مفرد ضمير بارز، سواء كان للمثنى أو الجمع. وقد بيّنت الدراسة والتحليل أن السياق هو العنصر الحاسم في تحديد مرجع الفاعل لفعل "قال "ومشتقاته في هذه السورة، حيث يساعد في فهم المقصود بالفاعل بدقة، ويكشف عن البنية البلاغية والتعبيرية التي يتميز بها النص القرآني.

أهم نتائج البحث:

بعد هذه المسيرة العلمية في رحاب القرآن الكريم، توصل هذا البحث إلى أبرز النتائج التالية:

- يتّضح من خلال الدراسة أن السياق القرآني يُعدّ العنصر الأهم في تحديد فاعل الفعل "قال" ومشتقاته في سورة الكهف، حيث يُسند الفعل إلى ما ينسجم مع مجريات السياق ومعاني الخطاب.
- وقد تنوّعت صيغ الفعل "قال" في السورة، وفي بعض المواضع كان تحديد الفاعل محلّ اتفاق بين المفسرين، بينما ظهر اختلاف في مواضع أخرى، مما تطلّب الرجوع إلى السياق لفهم المعنى المراد.
- وتبينّ أن الفاعل جاء على صورتين: اسم ظاهر، وضمير مضمر، سواء أكان مفرداً أو غير مفرد. وقد غلب في النص القرآني استعمال الضمير، لا سيما في صيغ الفاعل المفرد، مما يدل على اعتماد السياق في الإشارة إلى المتكلم دون الحاجة إلى التصريح.
- كما اتّضح أن شواهد الفاعل غير المفرد كانت أقل عدداً مقارنة بالمفرد، وورَد منها ما هو باسم ظاهر وما هو بضمير بارز، مع ملاحظة قلّة استخدام الاسم الظاهر لغير المفرد.
- كل ذلك يؤكد دقة التعبير القرآني في توظيف الفاعل بما يتلاءم مع السياق البلاغي والمقصد المعنوي، وهو ما يُعدّ من خصائص الإعجاز في البيان القرآني.